سياحة في العقول

د. امجد محمد إدريس

قدمت هذه الفكرة لمسابقة قمرة لتصويرها في شكل فيديو يعبر عن قضية أساسية في وقتنا الحاضر. للأسف لم تجد الفكرة طريقها نحو القائمة النهائية. هي بين يديك لعلك تثير فيك ذات الشعور.

سنقوم بلمحة سريعة عما يمكن أن يدور في عقلية المهاجرين، العاطلين عن العمل والوافدين للعمل في اي بلد. هذا الجانب يحاول أن يفهم جزء من المشكلة من وجه نظر من هم الأشخاص الأساسيين في هذه المعضلة.

سياحة في عقلية مهاجر أو مغترب:

الهجرة ظاهرة عالمية وكل يوم نري ونسمع عن العدد المتزايد من قوارب الموت التي تغرق بركابها من المهاجرين في مياه المحيطات. دعونا نتأمل حول الأفكار الأساسية التي تدور في خلد المهاجر إلي خارج بلاده. هذا التحليل قد لا ينطبق علي الكل، فكل حالة لديها ظروفها المنفصلة التي قد لا تنطبق علي بقية الحالات.

- الكثير من المهاجرين يسعى للوصول إلي أهداف مادية وشخصية يهتم بها الغالب الأعم من الشباب وهي (1) تحسين وضع الأسرة والوضع الشخصي، (2) الزواج، (3) حياة مريحة بكل تفاصيلها، (4) ضمان مستقبل الأبناء.
- العديد ممن يعملون في بلدانهم يتزمرون بسبب المرتبات التي لا تفي بالإحتياجات الأساسية، مع الوضع في الإعتبار مقارنة المرتب في بلدهم مع أضعافه في دول المهجر.
- البعض يهاجر نتيجة للاحساس بالظلم في العمل أو في المجتمع (العدالة الإجتماعية).
- البعض يهاجر لعدم إحساسه بالتقدير وسط بلده ووسط الجهات التي يعمل لديها، أو لإنعدام الرضا عن المجتمع الذي ينتمي له.
- حلم الكثير من الشباب هو الهجرة إلي امريكا أو بعض دول اوروبا للإرتباط الذهني لهذه الدول لدى الكثير من الشباب بالحرية الشخصية وتوفر الفرص.

- ضبابية المستقبل أمام الشباب الذين ينتمون للمهن الفنية مثل الطب، الهندسة، وغيرها، وذلك أن مع إنعدام فرص التدريب وتدهور بيئة العمل وانعدام الأجهزة والمعدات المتطورة، نجد أن هذا يهدد مستقبل تطور الشخص علي المدى البعيد.
- عدم توفر المشاريع الجاذبة التي تثير إهتمام الشباب أو تمثل أحلامهم المستقبلية لطبيعة العمل.
- البعض يهاجر لأسباب سياسية مرتبطة بالتوجه أو الخط السياسي للشخص.

بالرغم من كل ما سبق سنجد علي المقابل أفكاراً أخرى تدور في أذهان هولاء:

- سنجد أن العديد من المهاجرين أو المغتربين يتوقون للعودة لبلدانهم ويفضلون العمل في بلدهم وسط الأهل والأصحاب ومع البيئة الجميلة للحياة الإجتماعية فيها ويقارنون ذلك عن العمل في كثير من الدول.
- بالرغم من النقطة السابقة، فإنه وفي الفترة الأخيرة، ما أن يبدأ أحد المغتربين خارج بلادهم بطرح فكرة عودته أو الرغبة في ذلك إلا ويتم نصحه بعدم المجازفة والعودة لسوء الاحوال في بلده، "*يا عم مالك ومال البلد السيئة دي*". وهذه خلاصة نقاش في الغالب يقف كدليل علي بقاء غالبية الأسباب التي من أجلها هاجر أو ترك الوطن.
- بعض الشباب المهاجر أو المغترب يتمنى أن يفيد المجتمع والبلد ويتمنى أن تتاح له الفرصة في تقديم جزء من دين البلد الذي عليه، لكن مع إنعدام الروح الوطنية الكلية وإنعدام ثقافة الإنتماء، سنجد أن هذا التفكير محدود عدداً وتطلعاً. هذه الأمر نجده جلياً في لغة الكثير من الشباب حيث يرد بعضهم بأن "هي أصلا البلد عملت لينا ايه؟".

لذا سنجد أن المهاجر أو المغترب تقوده الكثير من العوامل والأسباب، أو قد تدفعه دفعاً، لإتخاذ قرار العمل خارج بلاده، لكن في ذات الوقت سنجد أن الأسباب التي تدفع أحدهم إلي العودة الطوعية تظل قليلة معدومة في الوقت الحالي. لذا يمكننا أن ندرك ما هي الأفكار التي تدور في فكر المهاجر أو المغترب والبعد النفسي الذي يحس به أغلبية الشباب.

عدد المغتربين خارج بلادهم في وقتنا الحاضر هو عدد مقدر بالطبع، وأنا أكتب هذه الكلمات وأنا خارج بلدي لكن لدي الطموح أن أعود يوماً إلي بلدي قريباً وأعمل فيه. ومع هذا الوضع وهذا الحال أجدني أتسأل ..... هل البلد بالفعل طارد لهذه الدرجة؟ هل كل هؤلاء المغتربين لم يجدوا مبتغاهم في البلد، وما دمنا نحن سنخرج جميعاً فمن سنترك في البلد ليطورها، هل نتركها لأبناء الجنسيات الأخرى لينعموا فيها ونتغرب نحن؟ هذا سؤال محير لا شك.

سياحة في عقلية العاطل عن العمل:

مشكلة البطالة مشكلة عالمية وليست حصراً علي بلادان بعينها فقط. وتحسب نسبة البطالة علي انها نسبة الاشخاص الذين ليس لديهم وظيفة ثابتة او اجر ثابت الي العدد الكلي من الاشخاص المؤهلين للعمل. وهو مؤشر اساسي من مؤشرات الاقتصاد. فالمتابع لنشرات الاخبار والنشرات الاقتصادية، سيجد أن هذا الجانب من المواضيع الاساسية في قراءة مؤشرات الاقتصاد في اي بلد. خاصة ان الدخل الذي ينتجه الشخص الواحد يدخل في دورة كبيرة في الاقتصاد فما بالك باعداد كبيرة من الناس الذي يسهمون في بناء الاقتصاد، بل سنجد أن ايجاد عمل لهؤلاء الشباب العاطلين عن العمل هو في اساسيات تحريك وتنمية الاقتصاد. فالبطالة والعمالة لهما ارتباط كبير ببعضهما البعض وبالاقتصاد الكلي للدولة، ولا نود الخوض في هذا الجانب وندعه لأهل الإختصاص.

دعونا في هذا الجانب نطوف قليلاً في عقلية العاطل عن العمل:

- عندما يفقد الشخص دخله أو لا يحصل على دخل منذ بداية دخوله إلى سوق العمل فإن ذلك يفقده قدراً كبيراً من الثقة في نفسه وينمي فيه روح عدم الإنتماء إلى المجتمع فتزداد داخله يوماً بعد يوم نظرة سلبية تجاه مجتمعه وعندما تطول فترة البطالة فإن كل ذلك الشعور السلبي قد يتحول إلى جرائم إجتماعية يرتكبها هذا الفرد في نفسه وفي محيط أسرته ومجتمعه ومنها السرقة والنهب وممارسة الرذيلة وتعاطي الممنوعات واللجوء إلى الشللية
- إحساس بعض العاطلين عن العمل بالدونية تجاه أنفسهم مقارنةً مع أقرانهم من نفس الفئة العمرية أو المهنية الذين يعملون وهذا يعزز إنعزال البعض منهم ويزيد من السلبية الكلية لنظرة العاطل عن العمل.
- تؤثر البطالة سلباً على الترابط الإجتماعي والاستقرار الأسري للعاطل عن العمل من حيث الزواج وبناء الأسر وذلك لعدم القدرة على توفير متطلبات الرباط الإجتماعي التي تبنى في العادة علي قواعد إجتماعية معينة ترتبط بالمقدرة المادية للشخص.
- تؤدي العطالة عن العمل بالشخص المتأثر إلي التذمر من السياسات الحكومية السائدة وبالتالي تساعد علي عدم الاستقرار، كما أنها تؤدي إلى بروز النزوع نحو المعارضة الظرفية – أي غير السياسية - لكل ما يمثل الحكومة وسياستها. في ذات الوقت سنجد أن الكثير من العاطلين عن العمل يرون الحكومة كجهة أساسية مسئولة عن عدم توظيفهم سواء أن كان ذلك في القطاع العام أو الخاص.
- الكثير من الشباب العاطل ينأى بنفسه عن تحمل مسئولية عدم العمل أو عدم الإلتحاق بأي نوع من أنواع العمل. وهذا بالتالي يخلق روح عدم تحمل المسئولية الفردية للشخص تجاه حياته ومستقبله،

ويجد الشخص نفسه في إنتظار ذلك المنقذ لكي يوفر له وظيفة مناسبة له. ذلك المنقذ في كثير من الأحيان يكون هو "الواسطة" وينسى الكثيرين أن لا واسطة مع الله مقدر الأرزاق ومجري الأمور.

- الكثير من العاطلين عن العمل يعتقدون أن البطالة خير من العمل في وظائف مستوى دخلها ضعيف "ما جايبة حقها".
- العديد من العاطلين عن العمل يمرون بتجربة صعبة مرتبطة بالحالة النفسية للعاطل الناتجة عن الضغوط التي تمارس عليه من قبل أفراد الأسرة وأهل الحي.
- في سياق الوضع في كثير من الدول، فإن عدم توفر فرص العمل للأشخاص المنتجين في حين يحصل عليها الوافدين الأجانب يؤدي بالضرورة إلي عدم تقبل الكثير من هؤلاء الأشخاص، وخاصةً من يؤثر عليهم واقع إرتفاع نسبة البطالة، إلي النظرة والسلوك السلبي تجاه العمالة الوافدة، والأمثلة الفعلية علي هذا الأمر كثيرة.

هذه الأفكار والأحساسيس المختلفة التي تمر في عقلية العاطل عن العمل تجعل إتخاذ القرارات حول الخروج من مأزق العطالة عملية صعبة جداً للشخص العاطل قبل المجتمع والدولة. وبالتالي في العادة تكون الخيارات محدودة لدى هذا الشخص. لكن في ذات الوقت، وكما أشرنا سابقاً، يظل السؤال قائماً حول العلاقة بين مقدرة الأجانب علي إيجاد عمل في الدول التي يهاجرون منها، وفي ذات الوقت يصبح هذا أمراً عصياً علي أهل البلد. لماذا يعمل هولاء في وظائف يرفضها أو لا يعمل بها أهل البلد؟، ولماذا يفضل المهاجر أن يجلس عاطلاً عن العمل علي أن يعمل في مثل هذه الوظائف؟. نحن هنا لا نتحدث عن الدخل ومقداره، فهذا موضوع اخر، لكن المهم هنا أن نطرح سؤالاً مهم للغاية الا وهو هل لدى المهاجرين بشكل كلي وعام أنفة تمنعهم من العمل في هذه الوظائف الموجودة بالفعل ويفضلون أن يعملوا في مجالات أخرى؟ وهذا بالطبع هذا جانب أساسي في هذا التحليل.